رسالة نصح وإرشاد الى القاعدين عن الجهاد

بقلم الشيخ؛ أبي الليث الليبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله القائل في كتابه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

والصلاة الكاملة وأفضل السلام على محمد بن عبد الله الذي صح عنه أنه قال: (إنّ الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم).

والقائل أيضاَ: (إنَّ الرجل ليعمل بعمل الآخرة فيما يبدوا للنّاس حتي ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراعا فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النّار... الحديث).

إخواني حفظكم الله ورعاكم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أسال الله أن تكونوا جمعياَ طيبين.

وبعد...

أضع بين يدي كلماتي هذه ما مر عليكم من القرآن والحديث، عرفانا من العبد الفقير لرحمة ربه ومولاه، وعلما لا ينازعني فيه شك - علم الله - أن عمل أهل الجنة والخالصين من عذاب الله غير مرتبط بمكان أو بلاد أو قطر ولا هيئة أو تنظيم بعينه أو قضية محددة أو زمرة مخصوصة، بل هو توفيق الله وهدايته وأصطفائه.

ثم كل ذلك محفوف بمخاطر العجب والكبر والتنكر لصلاح الآخرين وإزدراء الناس فتلكم المهلكات نسأل الله بمنّه وكرمه الإخلاص في القول والعمل.

أيا رب عاملنا بلطفك إننا نرى بجميل الظن ما أنت فاعل
أعذنا من الأهواء والفتن التي أواخرها توهي القوى والأوائل
وحبب إلينا الحق واعصم قلوبنا من الزيغ والأهواء يا خير عاصم

إخواني...

إنما هي كلمات مزجتها آداب الرفقة وماضي الصحبة والخوف من سوء المنقلب في الدين والنفس، فأستعين بالله فأقول:

قال الله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

يا إخوتي...

بكل جدية وموضوعية وإختصار وصفاء أقول - وقد وصلنا إلى قعر الأزمة والكارثة، وبكل التسليم بقضاء الله تعالي والرضى بقدره خيره وشره -:

إذا - بكل ذلك - إلتفتنا إلى تحليل واقعنا وأسباب ما جرى لنا، ونحن الذين نعتقد أننا نحمل خلاصة دعوة الحق ورايته الصافية وقد قدّم قادتنا وكوادرنا وباقي إخواننا جهودهم بكل إخلاص وتضحية، لنسأل لماذا كانت النتيجة في أنفسنا هكذا؟!

وما هي حصتنا من قوله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}.

وإلى أي مدى من المنطق الصحيح؛ لا نتحمّل مسؤوليّة هذه النتائج؟! وهل بإمكاننا إلقاءها صادقين محقين على عوامل خارجية، ونردد مستريحين؛ قدّر الله وما شاء فعل؟! وإلى أي مدى نحن مسؤولون لمخالفتنا السنن ولعدم أخذنا بالأسباب الممكنة؟

ليس هـــذا من أجل انتقـــاص أحد ولا التشـــفّي في المخطـــــئين... لا... إنما من أجل فعل إيجـــــابي يحفظ للسابقين مـنزلتهم وللعـاملين عملهم، متخـذين من هـدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا أن نكون من الصالحين: {وَالَّذِينَ جَـاءُوا مِنْ بَعْـدِهِمْ يَقُولُـونَ رَبَّنَا اغْفِـرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـانِ وَلَا تَجْعَـلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

وعلينا أن نتعرّض لعللنا بلا حرج ودراستها واستعراض أســاليب عملنا وتناولها بعيـــداً عن التقـــديس، لأنها آلة ووسـيلة، وبـذلك يتم تطويرها أو إلغاؤها أو إسـتحداث ما يناسب الـوقت والحـال مما لم يسـبق تجربته كأسـلوب، وأحياناً تكون فيها التجارب والأساليب السـابقة مسـتهلكة وتجاوزها الزمن، بمعنى أنها لم تكن خطأً ولم تعد صواباً.

سائل يسأل؛ هل خسرنا حربنا مع عـدونا في كل الميادين وفشـلنا في تحقيق الأهـداف الـتي وضعناها؟ وعقمنا اسـتحداث الوسـيلة وانكسـرنا في المواجهة؟ وقائمة هائلة من الخسـائر صـبّت علينا؟!

فهل يجب علينا أن نعــترف بكل ذلــك؟! ونستســلم للواقع؟!

أُجيب محاولاً الوضوح:

نعم منْ ذلك كـــــان في أرض المعركـــــة، ولكن المحاربون منا خرجوا على حالين؛

أحدهما؛

تخلى عن مواصـلة السـعي بنفس المنهج وعلى ذات الوتيرة لاحقاق الحق وتشعبت بهؤلاء الوديـان، نسـأل الله لجميعنا العفو والعافية وأن يـــرد من صـــار منا إلى هـــذا الحـــال ردًّا جميلاً - وبـــدون سب ولا شـــتائم ولاغيبة ولا أسماء -

إخواني...

إسمحوا لي أن أتملى في هذا المقام لأقـول؛ إن هـذا حـــال الكثـــير منا - اللهم لا شـــماتة - طـــأطؤوا هامـــاتهم

وإنكسـرت همتهم، انبطحـوا تدوسـهم سلاسل الـدبابات الأمريكية وأحذية جنودها، وصـمت آذانهم هـدير طـائراتهم وصواريخهم عن سـماع صـوت الحق تعـالى يصـدع؛ "الله أكـبر حي على الفلاح"، {وَلا تَهِنُـوا وَلا تَحْزَنُـوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ}، بشرط مهم؛ {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

ولكن للأسف خارت قواهم، ومهـدودة عـزائمهم، وهم يستسلمون لعالمية العدوان ولقانون الغزاة.

نعم، الأمثلة صارخة الوضـوح على ذلك مما يغـنى عن السـرد، ومهما بـالغوا وتفنّنـوا في المخـارج والتسـميات والاعـذار والتعهـدات؛ فهم - وبكل صـراحة - قد انتكسـوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وأما الفريق الثاني؛

من عرف أنها جولة تحقق فيها للعدو زيادة في الجرم وتوغلاً في الكفر، وخرجنا منها بزيادة إيمـان بموعـود الله سـبحانه وتعـالى: {فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُـوا وَكَـانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}؛ هذا الفريق الذي أثخنته الجـراح لم تنحـني هامته ولم تنكسر همتـه، ينـاطح القـرن الحـادي والعشـرين ويكسر فيه الـروم ذات القـرون، ليجعله قـرن الإسلام وسيكون بإذن الله تعالى.

نعم، هذه هي نهاية المسير - بـإذن الله تعـالى - وهي محصـلة النتيجة في جسد المحـاربين الـذين لم يلقـوا أسلحتهم؛ أصالة الأمة وعزتها وشموخها، طليعة الـركب... الأشلاء والدماء التي ستذهب الزبد والغثاء وتكشف الـزور والخداع، {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}.

إنّ ذلك القضاء والقدر كتبه من قـال في كتابه تبـارك وتعـالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُـلِي إِنَّ اللَّهَ قَـوِيٌّ عَزِيـزٌ}، {وَإِنَّ جُنْـدَنَا لَهُمُ الْغَـالِبُونَ}، {وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَـى لَهُمْ وَلَيُبَـدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئاً وَمَنْ كَفَـرَ بَعْـدَ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

وكل ذلك لسبب عظيم جليل مقـدّس، لخّصه الشـعار الجليـل؛ "الله أكـبر، الله أكـبر، لا إله إلا اللــه"، ولأنّ الله أكبر، ولأنّه لا إله إلا الله؛ فليعل هبل فالله أعلى وأجلّ.

إنّ هــذه العقيــدة المقاتلة الــتي صــمد عليها القلّة المتناثرة هنا وهناك؛ هي وحدها الـتي تسـتطيع أن تتـأقلم مع شراسة هجمة الأعـداء عليهـا، وبالتـالي تُقلّم أظـافره الناخرة في أجسادنا ونعـود عليه بالشّراسة نفسـها، ولكن ليس في الجسد بل لنقتلع القلب من جــذره بـإذن اللــه؛ {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

آن الأوان لأن يصير القتل والتدمير والإزهاق والاثخـان بكل مقــدور مســموح؛ هو الحكم بين فســطاط الــدين والمجاهــدين المقــاتلين وغــيرهم من ملل الكفر والــردة ومن في سياجهم.

هذا العدو الذي يبدو للكل عنفوانه وقوته، المحــاربون وحدهم هم الـذين قـدروا له قـدره، فـإن اتّفق الجميع في شدّة الضرب وشراسة المعركة والحملة الـتي اسـتباح بها منّا الــداخل والخــارج بكــلّ وســائل البطش والتنكيل بالجهاديين وقياداتهم وعناصرهم، وتجاوز ذلك إلى البطش بــالأعراض والتنكيل بكل ما وصــلته أيــديهم من الأبــاء والأمهات والنساء والأطفال والـدين والحيـاة، وتعـدّى ذلك كل طوائف الصحوة الإسـلامية، ثم بـالتبع وبـالطبع العـالم الإسلامي في مخطّط ظاهر للعيان يراد به الإسلام ودمـار ديار المسلمين.

أقول: إن اتفق الجميع في هذا التوصـيف الأليم إلا أنّه نــال قصب السـبق وبجـدارة مسـتحقة لا منـازع فيها من أحد؛ إنهم المجاهدون، المحاربون، اسـتلموا راية رسـولهم محمد صلى الله عليه وسلم.

والحكم هو التاريخ الماضي والمستقبل.

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى: (إني أرى أنه لا يعفى عن مسؤوليّة ترك الجهـاد شـيء، سـواء كـان ذلك دعوةً أو تأليفاً أو تربيـةً، إني أرى أنّ كـلّ مسـلم في الأرض اليوم منوط في عنقه تبعة ترك الجهاد والقتال في سبيل الله، وكل مسـلم يحمل وزر تـرك البندقيّة وكل من لقي الله - غيرُ أولى الضــرر - دون أن تكـون البندقيّة في

يـده فإنه يلقى الله آثمـاً، لأنه تـارك للقتـال، والقتـال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض) أهـ.

وعن زيد بن أسـلم أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال: (لا يـزال الجهـاد حلـواً خضـراً ما قطر القطر من السماء، وسيأتي على النـاس زمـانٌ يقـول فيه قـراءٌ منهم؛ ليس زمـان جهـاد، فمن أدرك ذلك الزمـان فنعم زمان الجهاد)، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحـدٌ يقـول ذلـك؟! فقـال: (نعم من عليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين).

وفي النسائى بسـند صـحيح؛ أنّ رجلاً جـاء إلى النـبى صـلى الله عليه وسـلم فقـال: يا رسـول الله أذال النـاس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا؛ لا جهاد، قد وضعت الحـرب أزورها فأقبل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بوجهه وقال: (كذبوا الآن جاء دور القتال، ولاتـزال من أمـتي أمة يقاتلون على الحق، ويُزيغ الله لهم قلوب أقوام ويـرزقهم منهم، حتى تقـوم السـاعة وحـتى يـأتي وعد اللـه، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

نعم، إنّ الانتصـارات في تجـارب المواجهـات والقتـال قليلة إذا قيست بالتجـارب الفاشـلة، ولكنّ دروس الفشل أكثر إغناءً من دروس الأنتصـارات وأفـدح منها ثمنـاً، وهي بفوائدها تسير بالعاملين نحو النصر المؤزر.

يقـول ابن القيم في ذلـك: (أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسـرة والهزيمة ذلـوّا وانكسـروا وخضـعوا فاسـتوجبوا منه العز والنصـر، فـإن خلعة النصر إنما تكـون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ}، وقـال: {وَيَـوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْـرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا}، فهو سـبحانه إذا أراد أن يعز عبـده وينصـره كسـره أولاً ويكـون جـبره له ونصـره على مقـدار ذله وانكساره) اهـ.

وراية الحق تبكى أهل نصرتها فليس في أرضنا من يرتجى حينا
وأصبح القرد والخنزير يحكمنا وارتج في حلقه دمع المواسينا
غبار خيل الوغى تشتاقه رئتي ومقبض السيف يبكي من تجافينا

هل ينبري فارسٌ لله بيعته يحي قلوباً عتت عن أمر بارينا
ويبعث الطهر نوراً في أجبتها ويقتفي راشداً درب النبيينا

ثم إن هنـــــاك مســـــألة يجب الوعظ فيها وكشفها وعدم قبول أي لبس عليها؛

وهي أن انتصار المجاهدين على الأعداء وتحقيق نتائج الانتصــار وأهدافه بــالحكم بما أنــزل الله تعــالى، هو في الحقيقة انتصار للأمة والشعوب المسـلمة ونعمة من الله عليها لما تستأهل ذلك أحوالها.

فهل أحوال هذه الشعوب المسـماة "إسـلامية" اليـوم تستأهل فرج الله؟!

فــأكثر المعتقــدات فاســدة، وغــالب الأفكــار ضــالة، وســلوك الأكثرية منحــرف، والعــادات والتقاليد مســتوردة من الكفــار، وأكــثر المكاسب من الحــرام، وقد عمّ الزنا والفجــور والخلاعة والاختلاط والسـفور، وتقنن أكل الربـا، وفشا أكل أمـوال النـاس بالباطـل، وظهر الغش والخـداع والرذيلــة، وغــدا التســابق في ميــادين الميوعة والســفه مألوفــاً، وصــار التيه في ميــادين الرفاهية والعبث والبـذخ طابع حياة الميسـورين، والحسد والضـغينة والنفـاق طـابع أكثر المعوزين.

وصــار المصــلون في النــاس قلــة، وأكــثر الصــائمين يفطــرون في رمضــان على موائد المــرح والســهر على المعاصي وبــرامج الكفر باللــه، يفتتحــون صــيامهم بــترك صلاة الفجر بعد ما ملؤوا ليلهم بالموبقات، وصار لا يــؤدي من الناس الزكاة إلا أقلهم، ولا يحج إلا النــادر منهم وأكـثر حجهم نزهة وفخراً وتجارة.

فــأين القــوم الــذين يســمون مســلمين من حقيقة الإســلام؟! وأين هم من منــازل الإيمــان بالله ســبحانه وتعالى وصفاته وملائكته وكتبه ورسـله؟! ومـاذا بقي على إيمانهم باليوم الآخر وقضاء الله خيره وشره؟!

بالله عليكم هل هــذا حــال أمة تســتحق فــرج الله ونصره؟! اللهم كلا!

وهل واقع حكـامهم المرتـدين الظـالمين الكـافرين الفاسقين يستأهل الفرج والعون؟! اللهم كلا!

وأعتقد أن هـذا يفسر ما نحن فيـه: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

إن انتصـار معظم الجهـاديين حيثما قـام جهـاد؛ كـان نصراً خاص بهم.

لقد استشهدوا ولاقوا ربهم شهداء؛ {فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْـلِهِ وَيَسْتَبْشِـرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُـوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُـونَ}، لقد أعطى الله المقبـولين المخلصـين منهم النصر الأعظم وقـربهم إليه وخلصهم من هذا الواقع المنكود.

إن النصر الظاهر المشـهود بهزيمة الأعـداء الكـافرين وانهيـار الطغـاة المرتـدين وانـدحار الظلمة والفاسـقين وتحكيم شـرع رب العـالمين في الأمة هو نعمة تتـنزل من الله على هذه الشعوب لمّا تستأهلها بعد، وهذا ما تقتضـيه السنن وتدل عليه شواهد التاريخ.

العين تبكي من مصابك أمتي فإلى متى يأمتي ننعاك؟!

هـــذه هي أمتنا بلا زيف وتزويـــر، أعيت مناديهـــا، واستمرئت حبائل مغتصبيها، وتلذذت بقهر جلاديها، ترسف بالنوم في أغلالها.

نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام

نامي على زبد الوعود يُداف في عسل الكلام

نامي تزرك عرائس الأحلام في جنح الظلام

نامي إلى يوم النشور ويوم يؤذن بالقيام

نامي على المستنقعات تموج باللجج الطوامي

نامي على قتل الرضيع كأنه سجع الحمام

نامي على لون الدماء كأنه شهد الطعام

نامي على هتك النسا كأنه طهر التمام

نامي على ذبح الرجال كأنهم أضحى اللئام

نامي على مهد الأذى وتوسدي خدّ الرغام

واستفرشي صُمّ الحصى وتلحفي ظلل الغمام
فالشمس لن تؤذيك بعدُ بما توهج من ضرام
والنور لن يعمي جفوناً قد جبلن على الظلام
نامي إليك تحيتي وعليك نائمة سلامي

إن النظرية الجهادية العملية لا تولد في رؤوس المـؤلفين والمفكـرين فـوق المكـاتب، ولا من خلال حيـاة الدعة المريحـة، ولا تتـنزل على أصـحابها من قمة الهـرم التنظيمى لحركتهم، بل تولد من خنـادق القتـال وسـاحات الأعداء ومسار المحنة وأتونها.

نظرية الجهاد ومبادئه تكلف أصحابها العنــاء، وتجعلهم يــدفعون ثمن كل خطأ وتجربة من دمــاءهم ومعانــاتهم، حــتى يلتمس اللاحقــون ما يناسب كل مرحلة قادمة من الخطوات الصائبة.

إن على كل جيل جهـادي أن يولـدّ نظريته العلمية من خلال التجربة الذاتية لحركته وأن يطورها في ضوء حصــاد التجارب السابقة.

إنه - وبإختصـــار - يحق لكل جيل وزمـــرة وطائفة أن تختار الأسلوب المناسب لها ولوقتها وظروفها، ولكن أبـداً ليس هنـاك خيـار عن القتـال وبـذل الغـالي والنفيس من أجل إدامة منازلة العدو في ساحة الوغى.

هو وحـــده طريق محمد بن عبد الله صـــلى الله عليه وسلم وحزبه.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (بالجهاد الـذي فيه الشـقة والعنـاء يـذهب الغم والهم، ولكنها الشـقة البعيـدة الــتي تتنــاحر دونها الهمم السـاقطة والعــزائم الضـعفية، ولكنه الجهد الخطـــير الـــذي تجـــزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة، ولكنه الافق العالى الذي تتخـاذل دونه النفـوس الصغيرة والبنية المهزولة، كثـيرٌ هم أولئك الـذين يتهـاوون في الطريق الصاعد إلى الأفـاق الكريمـة، إنهم ليعيشــون على حاشية الحياة وإن خيّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونـالوا مطــالب واجتنبــوا أداء الثمن الغــالي، فــالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص) اهـ.

فتلك حروب من يغب عن غمارها ليسلم يقرع بعدها سن نادم
وقل للذي قد غاب يكفي عقوبة مغيبك عن ذا الشأن إن كنت واعيا
وأدلج ولا تخشى الظلام فإنه سيكفيك وجه الحب في الليل هاديا
وسقها بذكراه مطاياك إنه سيكفي المطايا يا طيب ذكراه حاديا
وأقدم فإما مُنية أو منية تريحك من عيش به لست راضيا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى في تفسير سورة النور: (وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع، وهجران الفساق، وهجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنه يُعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى... فالزناة واللوطية وتاركوا الجهاد وأهل البدع وشربة الخمر؛ هؤلاء كلهم مخالطتهم مضرة على دين الإسلام وليس فيهم معاونة لا على بر ولا تقوى، فمن لم يهجرهم كان تاركا للمأمور فاعلاً للمحظور) اهـ.

وقد قال الله سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: ربي إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك).

يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: (أيها المسلمون؛ حياتكم الجهاد وعزكم الجهاد ووجودكم مرتبط ارتباطاً مصيريا بالجهاد، ايها الدعاة؛ لا قيمة لكم تحت الشمس إلا أذا امتشقتم أسلحتكم وأبدتم خضراء الطواغيت والكفار والظالمين، إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء هؤلاء واهمون لا يدركون طبيعة هذا الدين) اهـ.

وأهل الجهاد والقتل والقتال المشمرين دائما في ساحات النزال هم القادة الحقيقيون لمن بعدهم وتلاهم

من المسـلمين، فلا ينبغي لنفس مسـلمة تـدين بـدين الإسلام أن ترضى بغيرهم ساسة وقادة.

يقـول سـيد قطب رحمه اللـه: (ثم هي الأسـباب الظاهرة لاصلاح الجماعة البشـرية كلها عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فـرغت نفوسـهم من كل أغـراض الـدنيا ومن كل زخارفها وهـانت عليهم الحيـاة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله ولم يعد في قلـوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه) اهـ.

وهكذا كـان عنـدما نـدب عمر بن الخطـاب رضى الله عنه الناس لقتال الفـرس في العـراق، فكـان أول منتـدب أبو عبيدة بن مسـعود، ثم ثـنىّ سـعد بن عبيد وسـليط بن قيس، فلما تكامل حشد الجيش قـال قائل لعمـر: أمـرّ عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الانصار، فقال عمـر: (لا واللـه! لا أفعل إنما رفعكم الله بسـيفكم وسرعتكم إلى العـدو، فـإذا جبنتم وكـرهتم اللقـاء فـأولى بالرياسة منكم من سـبق إلى الـدفع وأجـاب إلى الـدعاء، والله لا أمر عليهم إلا أولهم إنتداباً) اهـ.

دببت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (إن من شرار أمتي مَنْ غذوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدقون بالكلام).

من نظر أبصـر، ومن فكر إعتـبر، ومن استرشد اهتدى...

العجب كل العجب من ورثة الشـهداء! كيف يزهـدون في اللحاق؟!

العجب كل العجب من ورثة الأُسـارى السـجناء! كيف لا يزهدون في البقاء؟!

فيارب إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجع يُعلى بخضر المطارف
لكنّ قبري بطن نسر مقليه بجو السماء في نسور عواكف
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابة يصابون في فجّ من الأرض خائف
فوارس بني إسلام ألُف بينهم تقى الله نزالون عند التراجف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

يقول سيد قطب رحمه الله: (إن الله يعلم أن الكفر متبجح ولا يمكن أن يكون منصفاً، ولا يمكن أن يدع الإسلام ينمو مهما يسلك المسلمون من طرق سلمية موادعة، فإن مجرد وجود الإسلام يحمل الخطورة على الكفر، ومجرد وجود المسلمين يحمل الخطر على الكافرين، ولابد أن يجنح الكفر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقة بالقوة، هذه جبلة وليست حالة طارئة، لابد ان نغرس هذا في نفوسنا أولاً حتى يظهر في الحقيقة والواقع، لا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح، ولابد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة، لابد من بذل الأموال والأنفس وإهراقها في سبيل الله كما طلب الله من المؤمنين وكما أشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فإما أن يقدر لهم الغلبة أو يقدر لهم الاستشهاد، فذلك شأنه سبحانه وذلك قدره المصحوب بحكمته، أما هم فلهم إحدى الحسنيين عند ربهم، والناس كلهم يموتون عندما يحين الأجل، والشهداء وحدهم الذين يستشهدون) اهـ.

وما النصر تهواه أرواحنا ولكن خلود في دار الخلود

ولذلك - إخواني في الله - فكل عمل خلاف القتال والسعي له مباشرة دون تردد؛ فإنما هو إضلال وإغواء وتيه، وإن زُينت مسالكه وتجملت نتائجه.

وكل دعوة لغير نضح الدم لا يُنظر إليها ولا يُهتم بها.

وإن شيئاً مؤسفاً بات يصيغ حياتنا ويطبع خطابنا اليوم، حيث مالت موازين المجاملات بالمعايير والقيم،

وطغت لغة الرياء والاستعراض في كثير من أدبيات حديثنا ومجالسنا الرسمية ومقابلاتنا الخاصة، مما أعطى مؤشـراً واضـحاً على عظيم المواجهة والتضـحية في سـبيل كلمة الحق، واستمرار هذا المنهج أدى بلا شك إلى بزوغ شمس النفاق دون أن يكون لها غروب قريب.

ولعل من أهم النتـائج السـيئة الـتي تـرتب عليها هـذا الحـال؛ عـدم القـدرة على معرفة الحق أو الوصـول إليه رغم شدة وضوحه عند الواضحين، لكنه صار عسـيراً على غيرهم.

حكم سيوفك في رقاب العذّل وإذا نزلت بدار ذُلّ فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولاتحفل بها واقدم إذا حقّ اللقا في الأول
واختر لنفسك منزلا تعلوّ به أو مُت كريماً تحت ظلّ القسطل
لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل

وتأملوا معى قول المولى سـبحانه وتعـالى: {وَقَـاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

لا يقعدن بكم حب الحياة وحذر الموت عن الجهاد في سبيل الله، قاتلوا في سبيل الله، لا في سبيل غاية أخرى، وتحت راية الله، لا تحت راية أخرى، والله يسمع ويعلم.

قـاتلوا في سـبيل اللـه، وليس هنـاك عمل ضـائع عند الله - واهب الحياة وآخذ الحياة -

إن الله أفـــرد للجهـــاد ســـورة ســـماها "القتـــال" أو "محمد" - نـبي الملاحم صـلى الله عليه وسـلم - وسـورة أخــــرى هي "الأنفـــــال" وثالثة هي "التوبـــــة"، وفيها من الإشارة ما فيها، فليتعظ أمـرؤ وليثـامن نفسه ويبـذلها في أعلى الغايـات وأسـمى الأمنيـات، عسـاه يلحق بـالركب والقافلة، وقال تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

قـال شـيخ الإسـلام ابن جرير الطـبري: (ومن جاهد عدوه من المشـركين فإنما يجاهد لنفسـه، لأنه يفعل ذلك إبتغاء الثـواب من الله على جهـاده والهـرب من العقـاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجـة، وذلك أن الله غـني عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر) اهـ.

لا يقفن أحدٌ في وسط الطريق وقد مضى في الجهـاد شـــوطاً يطلب من الله ثمن جهـــاده ويمن عليه وعلى دعوته ويستبطئ المكافـأة على ما نالـه، فـإن الله لا يناله من جهـاده شـيء وليس في حاجة إلى جهد بشر ضـعيف هزيل، {إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

وإنما هو فضل اللـــه، من الله يعينه في جهـــاده وأن يأجره في الآخرة بثوابه، {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِـــهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

من أحسن فنجاة نفسه طلبها، وسعادة حاله حصـلها، ومن أساء فعقوبة نفسه وشقاوة جدّه اكتسبها.

ثـواب المطيعين إليهم مصـروف، وعـذاب العاصـين عليهم موقـــوف، والحق عزيز لا يلحقه بالوفـــاق زين ولا يمسه من الشقاق شين.

ويا سبحان الله! هذه أرض الرافدين؛ بغداد... العـراق آية ماثلة لكل أصم أعمى فضلاً عن ســامع يـــرى، تحكي للقاعسين عن نصرة الدين القاعـدين عن القيـام للجهـاد؛ أن اللهِ ناصر دينه معلٍّ كلمته معزٌّ أولياءه ممكن لحزبـه، {قَـدْ كَـانَ لَكُمْ آيَـةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِـلُ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَأُخْـرَى كَـافِرَةٌ يَـرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ - وقـراءة نـافع: تـرونهم مثليهم رأي العين - وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْـرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}.

وما يزال القرآن يعمل بحقيقته الكبـيرة وبما يتضـمنه من مثل هذه الحقيقة؛ إن وعد الله بهزيمة الذين يكفـرون وينحرفـون عن منهج الله قـائم في كل لحظـة، ووعد الله بنصر الفئة المؤمنة - ولو قل عـــددها - قـــائم في كل لحظـــة، النصر متوقف على تأييد الله الـــذي يعطيه من يشاء؛ حقيقة قائمة لم تنسخ وسنة ماضية لم تتوقف.

تأملت الحياة وكيف تبقى حقائقها
وتمضي الترهات

فأدبني اليقين وهذبتني وصاةُ الله بوركت الوصاة
هنيئاً يا بن زرقاء وأنىّ وما ترقي إليك التهنأت
سموت فما تطاولك الأماني ولا ترجو مداك النيرات
ظفرت من الإله بخير نُعمى تطيب بها النفوس الصالحات
على النور الذي انجلت الدياجي به وعليك يابن زرقاء الصلاة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذه عادةُ الله سبحانه في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً؛ أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدلّ عليها).

بلاد الرافدين، بغداد، الرمادي، الفلوجة، القائم، ديالى، الموصل، تكريت، العراق، الزرقاوى، تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، الشيخ أسامه بن لادن؛ أسماء عظماء جلت عن الوصف

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشى أو شُمت لأغنت عن المسك

أسماء تحكي لنا؛ أنه من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه، كم اعتز الحق بأهله واعتزوا به وانتصر بهم وانتصروا به وباء أعداؤه بذلة العبيد وهم يضعون على رؤوسهم تيجان الملوك.

قال رسول صلى الله عليه وسلم: (لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة).

فهذا الغرس ليس له نظير وحاشا أن يكون له نظير
بماء الذكر يُسقى كل يوم وفى أحضانه ينمو البذور

هؤلاء العظماء الأفذاذ، حراس الدين وحماة العقيدة، هؤلاء العظماء لا يرون فضائلهم فضائل، ولا أعمالهم وحسن صنيعهم حسنات، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا

عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هـــذه الـــدنيا، فهم يُزرعـــون في الأمد زرعا بيد الله ولا يملك الـــزرع غـــير طبيعته.

ولذلك الذين يظنـون أنهم قـادرون على تحـويلهم عن طـريقهم؛ هم كـأحمق يقـول لشجرة النخل أثمـرى غـير التمر، أو للسنبلة كونى غير ذُرة أو قمح أو شعير.

لهذا جرت سنة الله ان يكـون أمثـال هـؤلاء قليـل، بل أقل من القليل.

وكانت قولة عمر بن الخطاب الخالدة: (ولكنني أتمنى رجلاً مثل أبي عبيــدة بن الجـراح ومعـاذ بن جبل وسـالم مولى حذيفة، فاستعين بهم على إعلاء كلمة الله).

سلمت يداك يابن زرقاء من فتى وسمُ المنيّة مِنْ على صمصامه
أحسنت ذبح الكافرين فأشبهوا ما يذبح الجزار من أنعامه

لله درك ودر أم ولـــدتك وأرضـــعتك يا أسد الله من بطل لا تهـاب قتّال للمـردة الكـافرين، ناصع الـدين، جمع الله لك السنان والبيان.

أيها النـاس؛ قومـوا لسـيدكم فلأن عـدمتم الفعـال فلا يفوتنكم سند الرجال.

قال ابن القيم في "مدارج السالكين": (فمن تعبد لله بمراغمة عدوّه فقد أخذ من الصديقيّة بسهم وافـــر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حُمد التبختر بين الصفين) اهـ.

وختاماً أقول:

جـاء في "مجمع الزوائـد" عن عبد الله بن عمـرو بن العـاص عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال: (هل تـــــدرون أول من يــــدخل الجنة من خلق الله عز وجـــل؟)، قـــالوا: الله ورســـوله أعلم، قـــال: (الفقـــراء المهاجرون، الـذين تُسد بهم الثغـور، وتُتقى بهم المكـاره، ويموت أحـدهم وحاجته في صـدره لا يسـتطيع لها قضـاء،

فيقــــول الله عز وجل لمن شـــاء من ملائكتـــه؛ أئتـــوهم فحيوهم، فتقـول الملائكـة؛ نحن سـاكني سـمائك وخيرتك من خلقك أفتامرنا أن نـأتي هـؤلاء فنسـلم عليهم؟! قـال: إنهم كانوا عباداً يعبدوني لا يشـركون بي شـيئاً، وتُسد بهم الثغـور وتُتقي بهم المكـاره، ويمـوت أحـدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضـاء)، قـال: (فتـأيتهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب؛ سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار).

أناضل عن دين عظيم وهبته مهجتي وحياتيا — عطاء مقلّ

وممتثل لله أسلم وجهه سأحمي دينيا — يقول أنا وحدي

بظهري، ببطني، بالذراع، بمقلتي الصدر حتى التراقيا — بجنبي، بعظم

تأخرت دهراً باللذائذ والمنى وخوف العواديا — ومن الدنيا

فلم أر يوماً كالتقدم لذة كالتقدم هانيا — ولم أر عيشاً

على ذروة التوحيد تخفق رايتي تصب دمائيا — وتحت روابيها

أبو الليث الليبي
الاول/1426 هـ

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www
ten.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www